(11) المشكلة الأولى [الشعور بالأنا والشعور بالغير]

هل شعور الذات بذاتها متوقف على معرفة الغير؟ وهل يكفي أن أكون مغايرا للآخرين حتى أكون أنا؟

****

مقدمة : طرح المشكلة

I . مدخل إلى المشكلة :

. عرض وضعية مشكلة ؛

. تحليل الوضعية المشكلة ؛

.، تعليق على الوضعية المشكلة، الطريق إلى معرفة الذات،

II – من الذات إلى الأنا

أولا : التمييز بين الأنا والذات والغير؛

ثانيا : الوعي وتشكيل الأنا ؛

ثالثا : الأنا و الغير.

III . معرفة الذات (الأنا) بين المغايرة والتناقض

أولا : معرفة الذات (الأنا) تتأسس على التناقض؛

ثانيا : التواصل مع الغير يؤسس المعرفة بالذات (الأنا)

1 . الحذر من طمس الغير ؛

2 . التواصل عند " سارتر "؛

3 . التواصل عند " غابريال مرسيل "الفيلسوف الوجودي.

خاتمة : حل المشكلة.

تطبيق : مقالة فلسفية

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

مقدمة : طرح المشكلة

الإنسان كائن مدني بطبعه، يعيش مع غيره من الناس في تفاعل وتكامل وفي تنافر وتجاذب. وفي تفاعله مع العالم ومع الغير، هل يعني هذا أن الآخر شرط ضروري لمعرفة الذات والشعور بها؟ أي هل شعور الإنسان بذاته متوقف على معرفته لغيره؟ وهل يكفي أن يكون مغايرا للآخرين حتى يكون هو؟

I . مدخل إلى المشكلة :

. عرض وضعية مشكلة

أخي الطالب ؛ تأمل وضعية صوفي التالية :

« ... هذا اليوم لم يكن في صندوق البريد إلا رسالة صغيرة، وكانت موجهة لصوفي. كانت الرسالة معنونة ببساطة:

صوفي أمندسون

3 . زقاق النفل.

لا شيء آخر. أية إشارة عن المُرْسل، حتى ولا طوابع.

استعجلت صوفي إغلاق البوابة خلفها وفتحت المغلف، فلم تجد داخله إلا ورقة صغيرة، لا تتجاوز مساحتها الظرف، وعليها جملة واحدة فقط : من أنتِ؟

. من أنت؟

أي سؤال أبله، وكأنها لا تعرف أنها صوفي أمندسون ! ولكن من هي صوفي هذه في النهاية؟ إنّها لا تعرف الكثير، وبدقة عن ذلك، ولو أنّهم أطلقوا عليها اسما آخر، آن كنوتسن، مثلا، هل كانت ستكون شخصا آخر؟

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

لم تتقبل "صوفي أمندسون" صورتها دائما، غالبًا ما يُقال لها أن لديك عينين لوزيتين، وذلك دون شك لتجنب الملاحظة أن أنفها صغير جدا، وفمها كبير قليلا. إضافة إلى أن أذنيها قريبتان جدًّا من عينيها. لكن الأسوأ هو شعرها المسدل تماما، مما يجعل تسريحه صعبا. أحيانا يمرر أبوها يده في شعرها وهو يناديها "بذات الشعر القطني". لقد كان الكلام سهلا بالنسبة له، فهو غير محكوم طوال حياته بهذا الشعر الطويل المنسدل الناعم. إذ لم يكن أي نوع من المستحضرات يثبت على شعر صوفي.

كانت ترى رأسها بشعا جدا إلى الحد الذي يجعلها تتساءل أحيانا عمّا إذا كانت قد ولدت مع تشوّه خِلقي. على أية حال، لقد قالت لها أمها أن ولادتها كانت صعبة. لكن هل تحكم ولادتنا مظهرنا إلى الأبد؟

[...] أليس من غير العدل ألاّ نستطيع اختيار مظهرنا الخارجي؟ نحن نستطيع أن نختار أصدقائنا لكننا لم نختر أنفسنا. أنها حتى لم تختر أن تكون كائنا بشريا.

ما هو الكائن البشري؟

رفعت صوفي من جديد عينيها إلى الفتاة التي في المرآة، معتذرة لها بقولها:

– أعتقد أنني سأصعد لأقوم بواجباتي المدرسية في علم الأحياء.

بعد لحظة كانت في الممر، ثم عادت ففكرت :

" لا .. في النهاية، أنا أفضل الذهاب إلى الحديقة."

– بس .. بس

دفعت صوفي الهر إلى السلم، وأعادت إقفال الباب وراءها... » .

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

. تحليل الوضعية المشكلة :

إن وضعية" صوفي" تختزل تاريخ الفلسفة، هذه الفلسفة التي تنطلق دائما **ممّا يبدو لناس واضحا وبديهيا** لتكتشف وراء ذلك الوضوح جبالا من الغموض...، إنها تلخِّص حيرة الإنسان ودهشته عندما يتوجه بناظريه إلى ذاته ليكتشف أنه هو الذي يعرف كثيرا عن أشياء العالم التي تحيط به لا يعرف شيئا عن" ذاته" و "أناه" أَلَمْ يكن سقراط محقا عندما وجه نظر الفلسفة إلى الأرض بعدما كانت قبله تُعنى بتأمل ملكوت السماء، ألم يكن الطلب الذي كتب على معبد "دلف" في اليونان القديمة "أعرف نفسك بنفسك " أكبر حكمة يجب على الإنسان أن ينقشها في قلبه وليس على باب المعبد؟ !

أخي القارئ ؛ إن صوفي قبل تسلّمها الرسالة كانت مثل أيّ طفل آخر تعتني بكل شيء حولها، تتفحصه وتريد معرفته، أما ذاتها فقد أَلِفَتْها ومن ثم بدَا لها أنّه من البديهي أنها تعرف منْ تكون، ولهذا لم يَخطر بذهنها سؤال كالذي حملته الرسالة. وحتى عندما قرأت الرسالة، بدت الإجابة عن السؤال المطروح أنّها من البداهة والوضوح بحيث أنّها لا تستدعي تفكيرا.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

إن السؤال "**من أنا**" لا يدخل في اهتمامات الأطفال، ولذلك لا بد أن الرسالة جاءت من راشد يريد أن يساعد "صوفي" حتى ترتقي على مهل إلى مرحلة

مـن أنـــا..... ؟ !

الرشد. وأيضا **ينبِّهنا إلى خطر المألوف واليومي**، إن المألوف واليومي يبدي لنا الأشياء التي ألفناها واضحة وبديهية، لكنه في الوقت نفسه يجعلها أشد خفاءًا وغموضا. ألم تكتشف صوفي بعد تأمّلٍ، أن ما كانت تعتقد أنّها تعرفه (أنها تعرف من هي) في الحقيقة هي تجهله؟ ألم تكتشف أن ما بدا لها واضحًا وبديهيًا في حياتها السابقة (تفكيرها في السؤال) لم يكن كذلك أبدا، بل كان أشد غموضا؟

أخي القارئ ؛ لو وُجِّه لك السؤال ذاته، فغالب الظن أنك ستجيب على نحو ما فعلت "صوفي" ؛ أي أنك تتعرّف إلى ذاتك وتعرِّف بها الآخرين في غالب الأمر من خلال الاسم الشخصي والعائلي، وإذا ارتقيت ربّما تنتقل إلى الصفات الجسدية التي تميّزك، أو من خلال جملة الصفات التي تُعرف بها لدى

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

الآخرين. وتعدِّد المعالم التي تحتكم لها في معرفة ذاتك يجعلك تبدو في حيرة، ويصبح السؤال أكثر جدّية وإلحاحا ممّا كنت تعتقد.

تعليق على الوضعية المشكلة : الطريق إلى معرفة الذات

كيف يعرف الواحد منّا أناه؟ وكيف يعرف أنّه **هوهو**؟ مع العلم أنه لا شيء في وجوده الجسدي والنفسي والاجتماعي يظل على ما هو عليه أي "هوهو". إن الواحد منّا لا يكفّ عن التغير والتحول في مختلف جوانب شخصيته. ورغم كل التحوّلات التي يمرّ بها الشخص الإنساني **يشعر دائما أنّه هو هو، وينسب إلى نفسه كل ما قام به من أفعال في الماضي والحاضر، وما يتوقع أن يصدرعنه في المستقبل. فهو يشعر أنه الشخص ذاته صاحب كل تلك الأفعال والمواقف التي لم يعد لها وجود.** لكن من أين يأتي هذا الشعور؟ وكيف يمكن للواحد منّا أن يعرف "أناه" حق المعرفة؟ وإذا كانت معرفة "الأنا" على هذا القدر من الصعوبة، فهل معرفة الآخر أيسر أم أشد صعوبة ؟

"**الأنا**" **ليست هذا الجسد** المتحوِّل، **وليست هذا الوضع الاجتماعي** المتبدّل (أنا الابن، ثم بعد ذلك أنا الأب ثم أنا الجد، أو أنا التلميذ ثم أنا الطالب الجامعي ثم أنا الأستاذ أو المحامي أو الطبيب...)، إن "الأنا" هي هذا الجزء الثابت بداخلي، والذي أشعر دائما أنه يصاحب جميع التغيرات التي أعيشها لكنه يظلّ هو. فالأنا هي ما ندعوه الذات الشاعرة والتي لا تدرك ذاتها فحسب، بل وتدرك أنها تتميّز عن غيرها من الذوات الأخرى. ومن هذا المنطلق؛ أخي الطالب

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

؛ فإن لمعرفة "**الأنا**"[1] علينا بتحديد مفاهيم أخرى قريبة منها أو مرتبطة بها كمفهوم الذات ومفهوم الآخر والغير.

II . من الذات إلى الأنا

أولا : التمييز بين الأنا والذات والغير

في البدء يجب أولا، التمييز بين المفاهيم الآتية :

1 . الأنا EGO - MOI : هو في اللغة، ضمير المتكلم؛ ويستعمل في الاصطلاح، للإشارة إلى **النفس المدْرِكة** التي هي بحسب "ابن سينا " (980-1037) عبارة عن " **ماهية ثابتة وقارة خلْف ووَراء كل الأعراض والمتغيرات التي لا يتوقف بدنُ الإنسان عن معرفتها** ".

والأنا في التحديد الفلسفي، تطلق على الذات المفكرة العارفة لنفسها في مقابل الموضوعات التي تتميز عنها. فهي الوعي الذي تملكه الذات عن فرديتها المميَّزة عن الأشياء الخارجية المادية.

ويشير مصطلح الأنا في علم النفس إلى الجانب الواعي من الذات؛ أي أعي أنني متميز عن الغير، ومقابلا له.

---

[1]- يجب عدم الخلط بين "أنا" التي تشير إلى ذات الفرد و بين "الأنا" التي تشير إلى المفهوم، فالسؤال من أنا؟ يطلب تعيين هذه الأنا أمّا السؤال: ما "الأنا" يطلب تحديد ماهية هذه الأنا. "أنا" فرد من ماصدق مفهوم الأنا (راجع المفهوم و الماصدق في مشكلة انطباق الفكر مع نفسه).

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

2 . والذات PERSONNE – SUJET : قال الجرجاني: " وقيل ذات الشيء: نفسه وعينه، وهو لا يخلو عن العرض، والفرق بين الذات والشخص: أن الذات أعمّ من الشخص". وهي تشير **ماهية** الشيء ؛ أي جوهره و حقيقته.

أمّا في اصطلاح الفلاسفة : الذات هي جوهر قائم بذاته، وهو ثابت لا يتغير على الرغم مما يلحقه من الأعراض مثل الصحة والمرض،الغنى والفقر، والصبا والهرم. كما يصدق اللفظ على الماهية[1] التي يراد بها حقيقةَ الموضوع أو الشيء . وهو ما يعبّر عن جوهر الإنسان وحقيقته سيكولوجيا وفيزيولوجيا ... .

3 . أما الغير AUTRUI : فهو في اللغة العربية، المخالِف والمعارض وهو أيضا . وفي بعض الحالات . الطرف المقابل ؛ ويتأكد هذا المعنى في اللغة اللاتينية، حيث إن الغير (autrui) مشتق من (alter) وهو الأجنبي والمخالف. وهو عند الإغريقيين يعني غير الإغريقي؛ ومَنْ ليسوا إغريقيين يُدعوْن البَربَار والبربارُ عندهم، ليسوا بشرا في الأصل، لأنهم خارج حضارتهم. وهذه الظاهرة عرفتها كثيرٌ من الشعوب والأمم عبر العصور و الحضارات.

وهو في المجال الفلسفي، خلاف الأنا أو الهوية. إنه اللاأنا أو بالأصح هو " أنا الآخر". إنّه الآخر الذي لا يشارك الذاتَ أحوالَها، من انتماءٍ عِرقي وحضاري وثقافي. وعلى هذا، يتحدد الغير بالسلب، من جهة أنه ليس الذات و ليس الأنا. ويتحدد إيجابا من حيث أنه الغير هو أنا آخر، أي يشبه الأنا من حيث هو ذات واعية بذاتها.

---

[1] . الماهية (Essence) هي حقيقة الشيء أو جوهره ؛ وهي في هذا السياق، ما يجعل الإنسان إنسانا، أي ما يتميّز به عن سائر المخلوقات كالتفكير، مثلا .

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

ثانيا : الوعي وتشكيل الأنا :

بالوعي يتمكّن الإنسان من إدراك العالم وإدراك ذاته، وأنّ الأنا **(الذات الواعية لذاتها)** يتأسس كوجود بواسطة الوعي؛ أي أن **الذات** تُصبح **أنا** عندما تعي ذاتها، وأحوالها وأفعالها. وهذا الوعي يصاحب **الأنا** طيلة وجودها. فالشعور أو الوعي يتحدد قبل كل شيء بالقدرة على قول "أنا" ويتفاعل في معرفة وجودِ ذاته، ووجود العالم الخارجي والغير.

و**بالشعور** يتحقق للإنسان وجوده المتم في العالم وقد عبّر "ديكارت" عن هذه الفكرة قال: **"أنا أفكر، إذن أنا موجود"**. ويقصد **بالفكر جملة من العمليات الذهنية المصحوبة بالوعي**، ولما كان الإنسان لا يتوقف عن التفكير لأنه لا يتوقف عن الوعي فهو لا يتوقف عن الوجود، وبفضل هذا الشعور (الوعي) يتعرّف الشخص على ذاته، ويصبح "لأناه"؛ أي يصبح قادرا على قول أنا. "**أنا أفكر**، إذن **أنا موجود**"، يعني أن وجود الأنا يتأسس على الوعي، وبانقطاع الوعي تكفّ الأنا على الوجود، وهكذا

الحكم بالمماثلة : نحن مثل كلّ الآخرين

جميع الحقوق محفوظة ©

تكون معرفة الذات سابقة لمعرفة الآخر وسابقة لمعرفة العالم عند "ديكارت"، بل إنّ معرفة الآخر (الغير)[1] تابعة لمعرفة **الأنا**، "فالغير" هو مثل الأنا ذات واعية لذاتها، ولهذا فهو " أنا آخر".

لقد وُجهت عدّة انتقادات لهذا التصور عن الوعي ومعرفة الذات لذاتها، نلخّصها فيما يلي :

1 . يتقدم الشعور . وخاصة لدى "ديكارت" . كعالم داخلي يعيش الأنا فيه منعزلا ومستقلا عن العالَمِ الخارجي. لكن أليس هذا الأنا المنعزل والمستقل **مجرد وهم**، وإنّما هو فيما يقول"غوسدورف" : "مجردُ خيال وإنتاج لأوهام لا تعرف بنية الفكر الحي ذاتَها وليس **للشعور مضمون داخلي**، فهو في حدّ ذاته **فراغ** ".

2 ــ ثم إن وعي الذات لذاتها، وهو ما يسمى بـ"**الاستبطان**" . منهج في علم النفس . عند علماء النفس، أمر متعذّر إن لم يكن مستحيلا ؛ لأن الذات واحدة، ولا يمكنها أن تشاهد ذاتها بذاتها دون واسطة، ولهذا قال الظواهريون **أن الشعور هو دائما شعور بشيء ما.**

3 . وأخيرا، لما كان الشعور (الوعي) معرّضا للخطأ والوهم أَلَا يمكن أن يكون الوعي بالذات مجرد وهم، فكيف نثق به إذن ونؤسس عليه الأنا. ثم هل الشعور قادر على الوصول إلى معرفة كلّ خبايا الذات، إن تجاربنا اليومية تدفع إلى التشكيك في النظرية التي تعتقد أن الذات تشعر بذاتها تمام الشعور، وأنّ

---

[1] . الغير autrui لا تقال سوى على الإنسان من حيث هو شخص آخر مختلف عن الأنا، أمّا كلمة الآخر فتطلق جميع الأشياء الأخرى المختلفة من جماد أو نبات أو حيوان أو إنسان، وهكذا تكون كلمة "الآخر" أكثر شمولا من كلمة الغير، وأيضا يجب أن تميز بين " الغير" التي تقال بالألف واللام، و غير دون ألف و لام،

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

الأنا هو شعور الذات بذاتها، بل هناك من حالات الذات وأفعالها ما لا تشعر به الذات على نحو ما بيَّن أصحاب التحليل النفسي.

« ... ثم ما هو موقف "هيوم" من "الأنا" في كلّ ذلك ؛ أي من نواة الشخصية الإنسانية؟ هذه التي بنى "ديكارت" كلّ فلسفته على التصوّر المتعلق بها.

- أتمنى ألاّ يحاول هيوم أن ينفي إنّنيّ أناّ ، لأنّه عندئذ سيهوم طويلا.
- إسمعي "صوفي" إذا كان هناك ما يجب أن تحفظيه من دروس الفلسفة، فهو عدم الخروج باستنتاجات متسرّعة.
- تابع
- طبقي منهج " هيوم" على ما تعتبرينه «أناك » أنت.
- ....
- إنّني أتصور نفسي، كمجموع معقّد: فمزاجي متغير جدًّا، وأجد صعوبة في اتخاذ القرارات. وأنا قادرة على أن أحب وأكره الشخص نفسه.
- إنّ تصورك لـ"أناك" هو إذن **تداعي أفكار**.
- ...

- لأنّني أتغير باستمرار، أنا لست اليوم نفسي قبل أربعة أعوام. إنّ مفهومي عن نفسي هو كمزاجي، يتغيّر من لحظة لأخرى. ويحصل لي أن أرى نفسي « كائنا جديدا بشكل جذري» .

- إذن الإحساس بامتلاك نواة شخصية ثابتة ودائمة هو وهميٌّ. وتصورنا للـ" أنا" سلسلة طويلة من الأحاسيس المنفصلة، التي لم نعشها إلا بشكل متعاقب " محموعة محتويات مختلفة من الوعي" تتلاحق بتسارع وتتغيّر وتتحرّك

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

باستمرار، كما يقول "هيوم" **فليس لنا إذن شخصية أساسية تندرج فيها وتتشابك متسلسلة كلّ الانفعالات والمفاهيم**[1]»

استنتاج :

قامت فلسفة عصر النهضة بتأسيس الأنا على الوعي، على اعتبار أن الأنا هو وعي الذات لذاتها. ومع "ديكارت" فقط تحوّل الأنا إلى مفهوم فلسفي بالمعنى الذي نفهمه اليوم[2] لكنه تبيّن منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، أن الوعي المنعزل، ليس موجودا وأن كل شعور هو شعور بموضوعٍ ما؛ أي متجّه إلى شيء آخر، وهكذا لم يعد الأنا(الواعي) مكتفيا بذاته في معرفة ذاته، بل أصبحت وساطة الآخر ضرورية لمعرفة الأنا لذاتها. لأن الوعي وحده ليس هو المحدِّد لذات الإنسان وأن هذه الذات محصّلة ظواهرَ لا يستطيع الوعيُ(الشعور) تفسيرها .

ثالثا : الأنا والغير : .

إذا كانت معرفتنا بأنفسنا وإدراكنا لذاتنا **غير ممكن بصورة مباشرة**، فهل يدفعنا هذا إلى البحث عن جواب لسؤالنا حول ذواتنا من وجهة نظر **الغير**، باعتبار أن الغير أحدَ مكونات هذا الوجود الخارجي عن الذات. فهو يقابلنا، **وللمقابلة أثر في تنبيه الذات** وتحقيق المعرفة بنفسها؛ إن التفاعل الذي يحصل

---

[1] . عالم صوفي لـ " جوستاين غاردر " .

[2] . أنظر © Encyclopædia Universalis 2006

http://www.onefd.edu.dz

بين **الفرد والغير** " يتم في بيئة تحبطه أو تشجعه وتشكل دوافعه"[1]. وهي من العوامل الحاسمة في وصول الفرد إلى إدراكه لنفسه والشعور بتميُّزه، بل إن إدراك الْهُوية **الذاتية** يحصل بالغير الذي يساهم في ضبط وصقل الوعي الفردي. وعلى هذا، يظهر بصورة جليّة **الاحتياجُ إلى الآخر في تحقيق الشعور بالذات**.

وهذا الغير مادام يواجهنا، فهو ما فتئ يحكم علينا، وحتى إذا كانت أحكامه حول ذواتنا غيرَ دقيقة، **فإنها تدفعنا إلى التفكير في أنفسنا**. ولمّا كان الفرد يمر بأوضاع يحضر فيها دوما هذا الغيرُ، فإنها تُذكره بنفسه وبقيمته أمامها. ومن هنا، فإن حكمه هذا، يعتبر خطوة حول معرفة ذاته في مختلف مراحل نموه وتكوين شخصيته.

الخلاصة والاستنتاج

إن الشعور هو دائما شعور بشيء ما، فليس هناك شعور خالٍ من الموضوعات، وأن الشعور يعي ذاته والأنا تعرف نفسها بواسطة تلك الموضوعات، وهكذا تكون معرفة الأخر أسبق من معرفة الذات. فعندما يشعر الأنا بالفرح والحزن والحب فإنه في الوقت نفسه يتعرف على أناه، ولمّا كانت هذه المشاعر تحصل له بسبب تأثير الآخر، فإن الأنا في حاجة إلى الآخر لمعرفة ذاتها كما تحتاج العين إلى المرآة كي ترى نفسه.

---

[1]. ومعروف أن التجربة الأولى للأنا هي تجربة تلفيقية غامضة أي أن أنا الطفل ما زال في حالة اللاقسمة واللاتمايز وكأنه ملفوف من طرف المحيط. وكأن الإنسان يعيش بدءا وأساسا، في أحضان الآخرين لا في ذاته نفسها. إنه يعيش في الجماعة أكثر مما يعيش في فرده ذاته. (ماكس شيلر، 1873-1928)

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

III . معرفة الذات (الأنا) بين المغايرة والتناقض

أولا : معرفة الذات (الأنا) تتأسس على التناقض

يعتبر"هيجل Hegel" (1770-1831) أن وجود الآخر (الغير) ضروري **لوجود الوعي بالذات**؛ والأنا لا يكون أنا إلا بالعلاقة مع الغير الذي هو في الوقت نفسه، مُكوّنٌ له وفاعل، وليس مجرد وجود جائز (غير ضروري).

إن إدراك الآخر يتحدد من خلال الاتصال به، وهو اتصال تمثله العلاقة التي تربط الأنا بالآخر، وهذه العلاقة هي **علاقة تناقض، يحصل عنها وعيُ الذات ووعي ذات الآخر**. وهذا الوعي يتكوَّن من خلال الآخر، وفي إطارٍ من الصراع والمخاطرة اللذين يُفضيان في الأخير، إلى وعي الأنا لذاته، و وعيه لذات الآخر. **نلاحظ هذا بوضوح، في جدلية العبد والسيد المشهورة التي يُفهَم من بين ما يُفهم منها،أن الذات تتعرّف على نفسها وعلى الآخر، بواسطة علاقة التناقض التي تجمع بين العبد من جهة، والسيد من جهة أخرى** : فالسيد والعبد شخصان، أحدُهما ارتفع عن الأشياء المادية، وألحق وجوده بالآخر الذي هو العبد. لم يخاطر العبد بنفسه، ولم يُضَحِّ بها. استغل السيد هذا الوضع، فكان أن نشأ عنه صراع. والسيد . ونتيجةَ خوف العبد وعدم مخاطرته . ينتصر؛ فيصبح بذلك، السيدَ المالك والحرَّ. وفي هذه الحالة، تنشأ بين الاثنين علاقة ؛ فالسيد لا يقتل خصمه بل يحتفظ به كبيان لسيادته وأداة لتحقيق مآربه. أما العبد، فمن خلال العمل الذي يسخره إليه سيدُه، يدرك في قرارة نفسه،أنه يؤثر في الموضوعات والأشياء، ينفُذ إلى أعماقها ويشكّلها كما يريد، ومن ثمة يطبعها بطابَعه الإنساني. هذا الصراع يؤدي إلى أن يدرك كلٌّ منهما، بصورة أو بأخرى، أناه، وفي الوقت نفسه يدرك الآخر.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

ومن هذه الجدلية، يظهر الأنا والآخر في صورة موضوعين مستقلين، واعيين يقفان وجها لوجه، وأن وعْيَيهما يتحدَّدان من خلال أن كلاّ منهما يثبت ذاته لنفسه، كما يثبتها للآخر بواسطة الصراع من أجل الحياة والموت.

إن الصراع ليس مفهوما أخلاقيا في العلاقات الإنسانية، وخاصة إذا تحوّل إلى عنف؛ فقد نختلف في تصوراتنا، وتتعدد مواقفُنا ولا نتفق على رأي من الآراء ؛ وقد تتنوَّع مللُنا ونِحلنا ومعتقداتنا؛ ولكنْ هذا التنافر حتى وإن بلغ حد التناقض، فهو لا يبرّر التناحر على البقاء والتصارع من أجل الغلبة ومفهوم الصراع في هذا السياق، يناسب مملكة الحيوانات ومنطق قانون الغاب، ولا ينطبق على من خُلقوا من أجل التعارف والتعاون. فلا القول بالأنا المنفرد بالوجود دون غيره (solipsisme) ولا القول بالتناحر بين الأنا والأخر، يشكِّلان المصدر لإثبات "الأنا"، و لا الأساس الذي يقوم عليه وعي الذات بذاتها.

وليس بعيدا عن الصواب القول، بأن وعي الذات لا يصبح قابلا للمعرفة إلاّ بفعل وجود الآخر والتواصل معه في جو يدعو إلى التنافس والبروز. وعلى هذا، يمكن التواصل مع الغير من غير تطاحن ولا معاداة. إنّه بالضرورة، **عنصر مكوِّن للأنا**، يقول " الحبابي: " إن معرفة الذات تكمن في أن يرضى الشخص بذاته كما هو، ضمن هذه العلاقة : (الأنا) كجزء من (النحن) في العالم"[1].

[1] . Mohamed Aziz LAHBABI, Liberté ou libération? p. 241

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

استنتاج :

يعتقد "هيجل" أن الوعي بالأنا والوعي بالآخر يتمّ في الوقت نفسه، نتيجة الصراع بين الذاتين، فغلبت السيد وهيمنته على العبد تجعله يعي ذاته كسيد، وخضوع العبد للسيد تجعله يدرك ذاته كعبد، وهكذا فإن كلا من السيد والعبد لم يعِ ذاته إلاّ من خلال الآخر.

وإذا كنا لا ننكر أن الوعي بالأنا لا يتم باستقلال عن أنا الآخر، وأن معرفة الأنا لذاته تتمّ بفضل وجود الغير، فإن المغايرة لا تكون بالضرورة مبنية على الصراع والعنف كما اعتقد "هيجل".

ثانيا : التواصل مع الغير يؤسس المعرفة بالذات (الأنا)

1. الحذر من طمس الغير

1/أ. فبالإمكان تحقيق التواصل مع الغير دون تنافر وحشي، فالآخر كما يرى مرلوبنتي لا يظهر أبدا في مواجهة الأنا، فالغير لا يكون إزائي وفي مواجهتي إنه بجابي وإلى جاني وخلفي فتجربة معايشة الغير والتواصل معهم تكشف عن تعدد للذوات تدرك معا من خلال تواصلها وتداخلها نهاية الأنا المنعزلة. ويعتقد "إمانويل ليفيناس"[1] أن الأخلاق ترفض كل عنف ضد الآخر والفلسفات التي للآخر من خلال المماثلة والمشابهة تمارس عنفا على الآخر وإن كانت لا تعترف به. يجب التعامل مع الآخر دون اختزال غيريته، ومماثلته بالأنا بل على الأنا أن تحافظ على اختلاف الغير. أما بالنسبة لـ"ماكس شيلر"فأن

---

[1] . إمانويل ليفيناس Levinas, Emmanuel (1905-1995) فيلسوف فرنسي تعود أصوله إلى ليتوانيا تأثر بـ هوسرل و هيدغر دارت أهم أعماله حول علم أخلاق الغيرية une éthique de l'altérité.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

الاتصال الحقيقي بالغير، يتمثل في **التعاطف**. وفي سياق التعلق بالغير، يرى " سارتر " بأن المحبة ليس معناها الرغبة في امتلاك الغير كفرد حر، لأننا لا نمتلك في الحقيقة، سوى الأشياء.

1/ب. وحتى في الحب، فإن معرفة الغير تواجه بعض المؤاخذات، منها : أن مشاركة أحدهما الآخر في حياته الروحانية ضرب من الخيال، خصوصا وأننا نحن لم نصل إلى فهم ذواتنا. إننا لا نستطيع تخيل حالات انفعالية لدى الغير إلاّ من خلال الحالات التي عرفنا (نحن) بالذات. هذا، ولقد وقع التنبيه إلى الفرق بين معرفة الذات ومعرفة الأشياء، لأنه لا يمكن تشييء الشعور، ولا إخضاعه لما يخضع له عالم الأشياء من نظام

2 . التواصل عند " سارتر "

ويمكن بيان موقف هذا الفيلسوف من خلال استعراض

الفكرتين التاليتين :

2/أ. الصلة بين الذات والآخر

ذهب " سارتر " إلى اعتبار الآخر مقوِّما أساسيا ، مكوِّنا للأنا والوعي به. والنقطة الأساسية عنده تتمثل في الصلة التي بين الذات وبين الغير. فـ" وجود الآخر شرط لوجودي، وشرط لمعرفتي لنفسي ؛ وعلى ذلك، يصبح اكتشافي لدواخلي اكتشافا للآخر ". والغير هو إنسان وليس شيئا، وهو حقيقةٌ مطلقة موجودة، تتكشف وتتجلى كما تظهر. وهذا الإنسان ليس شيئا، بل هو كائن تنتظم حوله الأشياء التي في العالم. وهو (الإنسان الآخر) ينظر إليَّ وباستمرار ؛ وفي ذلك، إمكانية تحوُّلي بالنسبة إليه إلى موضوع، وهو موضوع أصبح موجودا للغير.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

2/ب. أنا أفكر : الوعي والمواجهة

وقد أخذ " سارتر " بالفكرة التي انطلق منها " ديكارت " "أنا أفكر، فإذن أنا موجود "؛ وبعد أن حدَّدها تحديدا يتجاوز الفردية الذاتية الخالصة، أضحت عنده " حقيقةً مطلقة يندفع إليها الوجدان ليعي نفسه، ويعي بالتالي وجوده "، بل ويعي الآخرين. فـ " أنا أفكر لا تجعلني أعي نفسي [...] ولكنها تجعلني أعي نفسي مواجِها للآخرين، وتجعل الآخرَ حقيقة أكيدةً لي، **ووعيي لآخر لا يقلُّ قوة عن وعيي لنفسي** " ؛ وما دام أن هناك كونيةً للإنسان نابعة من اختياره الحر لنفسه، ومن فهمه لمشروعه وليست معطاة له، وما دام أنها تتكون وتتطوَّر، فهي تمكِّنني من فهم كل رجل من أية حقبة تاريخية كانت. فكل إنسان يحيا مشروعه ويعيشه، وأنه يستطيع بخياله أن يذهب إلى حدود مشروع الآخر ويحياه. إذن هناك " **كونية شاملة في كل مشروع، بمعنى أن كل مشروع يمكن أن يفهمه كل إنسان** ". وفي اتصالنا بالغير عن طريق التعاطف والمحبة، فإن " سارتر " يرى . كما مرَّ بنا . بأنه رغبة من أجل امتلاك الغير كفرد حر، بينما لا نمتلك في الحقيقة، سوى الأشياء.

3 . التواصل عند " غابريال مرسيل "الفيلسوف الوجودي

وبالنسبة لنظرية انفراد الأنا بالوجود ولا وجود لغيره، فهي بالنسبة لهذا الفيلسوف نتيجةٌ للتمييز بين الفرد والموضوع : فهي ترسم دائرة الانفراد، لأنها تبتر الغير بفكرة الغير، عازلة الغير في الخارج داخل دائرة أشكِّلها أنا بنفسي. فعندما أعامل غيري مثل "الأنت" وليس مثل "الهو" ، أليس هذا الاختلاف في التعامل يزيدني انفرادا بالنسبة إلى هذا الغير، أم أنفُذ أكثر في أعماق هُواه وأتفهم أكثر ومباشرة كينونتَه وماهيته؟ وعندما أعامله كـ(هو)، فإنني اَختزل الغير في مجرد

http://www.onefa.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

شيء يتحرك هكذا. وعلى العكس من ذلك، فإنني عندما أعامله كـ(أنت) أراه وأمسكه كحرية، لأنه حريةٌ وليس طبيعة أو شيئا. ولهذا، فالغير بصفته غيرا في حد ذاته، لا يوجد بالنسبة إليّ إلا بمقدار تفتحي عليه، على (أنت). ولكن لست متفتحا عليه إلا بمقدار توقفي عن تشكيلي مع نفسي نوعا من الدائرة حيث أُسكن الغيرَ أو على الأصح، تفكيرَه[1]... هذا ولا يخفى، كيف أن الشعور لا يوفر لنا مدركات خارجية مستقلة عنا[2].

---

[1] . غابريال مرسال ، Journal métaphysique (1914-1923) .

[2] . يقول "مارسيل ": " إن الكائن الحي يقابل محيطه بخلفية توجه إجراءاته ، وتلهم طريقته في تفكيك المشهد في كل مرحلة من مراحل حياته . إنه يستجيب لخلفيات رغباته ؛ و يتغير مدلول نفس المشهد لدى الحيوان أو الطفل ، حسب أن يكون جائعا ، أو عطشانَ أو متعبا [...] . فالشعور لا ينير إذن ، كامل المجال المادي للفعل إنارة متساوية ، لأنه يستجيب هو نفسه للتنظيم العام للسلوك [...] ؛ فهو بهذا ، لا يمنحنا واقعا مستقلا عنا ، كما نظن عادة ، بل يسجل على العكس من ذلك ، في هذا العالم طابع وجودنا ؛ فالشعور الفوري ليس متفرجا ، وإنما هو فاعل ونزوعي ". عن ،

(G.Gusdorf traité d'existence morale, la conscience immédiate)

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

خاتمة : حل المشكلة

إن شعور الإنسان بذاته متوقف على معرفة الآخرين باعتبارهم كائنات تستحق المعاشرة والاحترام والتزكية ؛ ومغايرته لهم، إن كانت ضرورية لتثبيت الذات وتأكيد خصوصياتها، لا تكتمل ولا تزدهر إلا بوجود الآخرين والعمل معهم في ظل التعاضد والمحبة.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

تطبيق : نص فلسفي

« هناك ثلاثة مواضيع يمكنها أن تخلق الصداقة. فالارتباط بالأشياء الجامدة لا يمكن أن نسمّيه صداقة نظرا لعدم وجود أيّ ارتباط عكسي في ذلك. فلا يوجد لدينا إمكانية في أن نرغب فيما هو خير بالنسبة لتلك الأشياء (...). ولكن وعلى العكس من ذلك، عندما يتعلّق الأمر بصديقٍ لنا، فإنّنا نصرح أنّه من واجبنا أن نتمنى له كلّ جميلٍ وخيّر، غير أنّ أولئك الذين يتمنون للآخر خيراً نسميهم مجرد متعاطفين عندما لا يبادلهم الآخر نفس التمني.

أرسطو 367 - 322 ق. م

فالصداقة لا تقوم إلاّ إذا كان التعاطف متبادلا. لكن ! ألا يمكننا أن نقول إنّ هذا التعاطف المتبادل ينبغي أن لا يظل خفيا ومسكوتا عنه؟ ذلك أنّ العديد من الناس يتعاطفون مع أشخاص لم يسبق أن رأوهم. لكنهم يصدرون عنهم أحكاما بالجدّية والصلاحية، ويمكن لأحد هؤلاء الأشخاص أن يستدلّ على وجود هذا الإحساس تجاه الطرف الآخر. لكن! كيف يمكن أن نعترهم أصدقاء في اللحظة التي نجد أنّ كلَّ واحدٍ منهما لا يعرف مشاعر الآخر اتجاهه؟ ينبغي أن يكون هناك تعاطف متبادل، بحيث يتمنى كلّ واحد منهما الخير للآخر، مثلما لا ينبغي أن يبقى هذا التعاطف مجهولا لدى أحد الطرفين. وينبغي أن يكون من بين أسبابه أحد الأشياء التي ذكرنا ».

عن Aristote : Ethique à Nicomaque. *LivreVIII.1,1156a Ed, Vrin, 1990,*p29.

"كتاب الفلسفة " تأليف مجموعة، مكتبة الأمة، المغرب، ص . 39 .

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

تطبيق : مقالة فلسفية

هل يمكن معرفة "الأنا" في غياب "الآخر" (الغير)؟

تصميم المقال.

طرح المشكلة :

- **المسلمة :** إن " الأنا " هو الضمير الذي يشير به المتكلم إلى "ذاته" من حيث هي متميزة عن "ذات" الآخر. ويوحي هذا أن وجود الآخر ضروري للحديث عن الأنا.
- **إبراز التعارض :** لكن هناك بعض الفلسفات . كالفلسفة الديكارتية . أنا معرفة الأنا متقدم على معرفة الآخر، وبالتالي يمكن معرفة الأنا والحديث عنها في غياب الآخر.
- **صياغة السؤال :** وهذا التعارض يدفعنا إلى التساؤل التالي: هل وجود الآخر ومعرفته شرط لمعرفة الأنا أم أن معرفة الأنا تتم دون وساطة الآخر؟

محاولة حل المشكلة :

الأطروحة : (أطروحة ديكارت) إن معرفة "الأنا" تتم مباشرة عن طريق الحدس دون الحاجة إلى إي وسيط، وبهذا لا يكون الآخر ضروري لكي تعرف الذات ذاتها وبالتالي تعرف أنها أنا.

– اكتشاف الأنا لنفسها من حيث هي ذات (جوهر) عاقلة تتصف بالثبات أي أمام التغير الذي يحدث في العالم وحتى أمام التغير الذي يحدث على الجسد تشعر هذه الأنا أنها هي هي، ولا تعرف خاصية ثبات الأنا إلا من خلال الحدس.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

– ليس هناك شيء أكثر وضوح من الذات لذاتها، لكون الذات شفافة لذاتها، ولذلك فهي لا تعرف شيئا آخر أكثر مما تعرف نفسها.

– ويلزم من المقدمتين السابقتين أن تكون الذات على يقين من معرفة ذاتها، في الوقت الذي قد يراودها الشك في معرفة الآخر وهو ما حاول أن يثبته ديكارت من خلال **الكوجيتو**. وبهذا لا يتوقف وجود الأنا أو معرفته على الآخر وإنّما على كونه جوهر (ذات) مفكر وشفاف لذاته، لا يمكن نكرانه أو الشك فيه.

– **مناقشة** : إن معرفة الأنا دون وساطة الآخر، تبعث في النفس نزعة وثوقية تسقط الأنا في الوهم والانغلاق على الذات.

– لكن الأنا كذات مفكرة ومعطى يقيني وثابت يتحدد في مقابل (جوهر) آخر غير مفكر ومتغير وفي مقابل ذات أخرى مفكرة (الغير) يمكن الشك فيهما (أي الشك في وجود الآخر والغير). حتى ديكارت نفسه وصل إلى الكوجيتو cogito من خلال هذه المقابلة أي بدأ بالشك في العالم (الآخر) ثم شك في الأنا، ليكتشف أن الأنا معطى يقيني لا يمكن الشك فيه.

نقيض الأطروحة : لا يمكن معرفة الأنا دون وساطة الآخر، سواء أكان الآخر غير المفكر (أي العالم) أو الآخر المفكر (الغير أو "الأنت" حسب غابرييل مارسيل).

– كل وعي بالذات يستوجب معرفة الآخر عند "هيجل" Hegel" أن لأن وجود الآخر (الغير) ضروري لوجود الوعي بالذات ؛ والأنا لا يكون أنا إلا بالعلاقة مع الغير الذي هو في الوقت نفسه، مُكوّنٌ له وفاعل. وهذه العلاقة هي

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

علاقة تناقض، كما يرى هيجل، يحصل عنها وعيُ الذات ووعي ذات الآخر. وهذا الوعي يتكوَّن من خلال الآخر، وفي إطارٍ من الصراع والمخاطرة اللذين يُفضيان في الأخير، إلى وعي الأنا لذاته، ووعيه لذات الآخر.

– سارتر : الآخر ضروري لوجود الأنا ومعرفتها. يقول سارتر: "وجود الآخر شرط لوجودي، وشرط لمعرفتي لنفسي؛ وعلى ذلك، يصبح اكتشافي لدواخلي اكتشافا للآخر ".

– إن معرفة الأنا لا تكون في مقابلة الآخر أو مواجهته بل تتم أيضا من خلال الانتماء إلى الآخر على نحو ما يرى عبد العزيز الحبابي: يقول " الحبابي : " إن معرفة الذات تكمن في أن يرضى الشخص بذاته كما هو، ضمن هذه العلاقة : (الأنا) كجزء من (النحن) في العالم.

التغليب :

إن المشكلة التي عرضها الموضوع تحددت في علاقة التناقض بين **وجود الآخر** و**عدم وجوده** كشرط لمعرفة الأنا والمتناقضان لا يجتمعان وجودا أو عدما وبالتالي فإن الجواب عن المسألة يكون بتغليب نقيض الأطروحة. لأن عدم وجود الآخر يعني عدم معرفة الأنا وعدم معرفتها يجعل من المتعذر الإقرار بوجودها، لأنه لا يمكن الإقرار بوجود الشيء إلا بعد معرفته.

حل المشكلة :

وهكذا يتضح من التحليل السابق أن وجود الآخر شرط ضروري لمعرفة الأنا لذاته وذلك لأن الأنا هي الضمير الذي يميز ذات المتكلم عن ذات المُخَاطَب، ومن ثم لزم أن حضور الآخر ضروري للحديث عن الأنا أو الشعور بها سواء في مقابل هذا الآخر أو مواجهته أو الانتماء إليه.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©